تأثير تكنولوجيات الاعلام والاتصال على الهوية الثقافية في مجتمعات الشتات

The impact of information and communication technology on cultural identity in diaspora communities

وهيبة سغيري

جامعة باتنة1، الجزائر، wahiba.seghiri@univ-batna.dz

مخبر الأمن في منطقة المتوسط: إشكالية وحدة وتعدد المضامين

تاريخ الإرسال: 2022/01/19 **تاريخ القبول:** 2022/05/16 **تاريخ النشر:** 2022/07/01

ملخص:

يعود ظهور مفهوم الشتات إلى منتصف تسعينات القرن الماضي فمجتمعات الشتات تكون جزءا من النسيج الاجتماعي لدول المقصد، ومع ذلك فهذه المجتمعات في بحث مستمر عن الطرق المثلى للحفاظ على هويتها الثقافية وانتمائها للوطن الأم مع محاولة الإندماج مع الثقافات المختلفة للحفاظ على نظامها الإجتماعي، تبحث الدراسة في مدى مساهمة تكنولوجيا الإعلام في الحفاظ على الهوية الثقافية والعلاقات عبر وطنية للمغتربين في مجتمعات المقصد، وخلصت إلى أن تكنولوجيات الإتصال ساهمت في الحفاظ على هوية المغتربين وصهرهم ثقافيا نسبيا في المجتمعات المحلية، إلا أنها عملت في نفس الوقت على استبعاد هذه الأقليات مما يزيد من حدة التوترات الإيديولوجية والثقافية وأيضا ظهور مفاهيم جديدة زادت من قوة مفهوم الشتات.

الكلمات المفتاحية: *الهجرة؛ الشتات ؛ الهوية الثقافية؛ تكنولوجيات الإعلام والإتصال؛*

Abstract:

The emergence of the concept of diaspora dates back to the mid-1990s, as diaspora communities are part of the social fabric of destination countries . These societies are in constant search for optimal ways to preserve their cultural identity and belonging to the motherland , In addition to trying to integrate with different cultures to maintain their social order . The study examines the extent to which media technology contributes to maintaining the cultural identity and transnational relations of Diasporas in destination societies . The study concluded that communication technologies contributed to preserving the identity of expatriates and their relative cultural assimilation in local communities , However, it worked at the same time to exclude these minorities, which exacerbates ideological and cultural tensions, as well as the emergence of new concepts that increased the strength of the concept of diaspora.

Keywords: *migration; diaspora; cultural identity; Information and communication technologies.*

***المؤلف المرسل: سغيري وهيبة، wahiba.seghiri@univ-batna.dz**

مقدمة:

في عالم متزايد العولمة أصبحت ظاهرة الهجرة تبرز بسمات وسياقات مختلفة فلم تعد المفاهيم السابقة والمتعلقة بها كافية وذلك نتيجة ظهور مفردات جديدة مثل التهجين والحدود العبر وطنية وإزالة الحدود الإقليمية والشتات...، والتي شكلت إلى جانب مفهوم الهجرة معجما جديدا للعولمة الثقافية ويعتبر بعض الباحثين أن الهجرة هي إحدى آليات الصمود والبقاء الرئيسية، فالمهاجرون في عصر العولمة يشكلون مكونا كبيرا من النسيج الاجتماعي لدول المقصد، وأصبحت تصنيفات تدفقات اليوم تعتمد على التحول في اعتماد المفاهيم وفي هذا السياق تطرق أورلاندو باترسون سنة 1975 إلى **"الولاء العرقي"** فبالنسبة للدول المضيفة قد تشير الولاءات السياسية والاجتماعية المزدوجة للمهاجرين إلى مفهوم "**الهوية المتغيرة والمعقدة** " والتي ترتبط بدورها بالسياسة المكانية للمكان والذي قد يؤثر على استقرار "**فهم الوطن** ".

يرتبط الإنتماء بديناميكية الخسارة والحنين ويعبر هذا غالبا عن فكرة الشتات فقد تحول هذا المفهوم -الشتات- خلال العقود الماضية إلى مكانة بارزة على الساحة العالمية، وأضحت مجتمعات الشتات تلعب دورا متزايدا في الساحة الدولية لما لها من تأثيرات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، وبناء على فكرة أن العولمة تفكك فكرة المكان؛ ففكرة الشتات تحاول التعامل مع ضغط الفراغ الزمني عبر حدود الدول وحتى لا تصبح الفكرة عاملا معيقا لاندماج المهاجرين (باعتبار أن الشتات يخلق مجتمعات تعددية متعددة الثقافات ومجتمعات منفصلة) أصبح من الضروري تبني مقاربة تقدم طريقة واحدة لتأطير هذه الاختلافات وتجازوها للحفاظ على مزيج ثقافي مستمر ومتطور.

ومع النمو المتزايد لمجتمعات الشتات عبر مختلف دول العالم وظهور جيوب عرقية عالمية تعبر الثقافات والدول بدأت تظهر مسارات جديدة للتكامل بين أعضاء الشتات والمواطنين الأصليين من جهة؛ وبين الشتات وأعضاء موطنهم الأصلي من جهة أخرى، ويمكن أن يتجسد الأمر فعليا من خلال تكنولوجيات الاتصال الجديدة التي تساعد أولا على قياس القضايا المتعلقة بالشتات الذي يعتبر صعبا بما كان، ثم الحفاظ على الروابط الشخصية والمجتمعية والثقافية والتواصل مع شؤون البلدان الأصلية بطرق لم تكن متصورة في السابق، أيضا في محاولة لضبط القوة والهوية والهوية الثقافية والتغيير الاجتماعي على مستويات عديدة وطنية ومحلية .

على الرغم من وجود اهتمام متزايد بدراسات "الشتات" و"تكنولوجيا المعلومات والاتصال" وخاصة تلك الشبكات التي طورها المهاجرون وجماعات الشتات والتي تساعد على بناء مجتمعات عبر وطنية، فاختيار الشتات كحالة لدراسة تأثير تكنولوجيات الإعلام على التكوين الثقافي والمجتمعي لهذه المجموعات فيه من التحديات ما يكفي لطرح التساؤل التالي:

هل ساهمت تكنولوجيا الإعلام والاتصال في الحفاظ على الهوية الثقافية والعلاقات عبروطنية لمجتمعات الشتات وربطهم بثقافتهم وهويتهم الأصلية من خلال تجاوز مفهوم الشتات بمعاييره المختلفة؟

تفترض دراسة الشتات في عصر التكنولوجيا أن هذه المجتمعات لها القدرة على التعامل مع القضايا ذات النطاقات الواسعة للتحول الاجتماعي، فتطور شبكات الاتصالات وتبادل المعلومات عبر مواقع مختلفة وتتبع اتجاهات مختلفة لها تأثير أكيد على الهوية الثقافية التي تعتبر عنصر أساسي في عالم متصل عبر التدفقات والشبكات، فوسائل الإعلام تعمل كمساحات تتواصل فيها الأقليات مع مصالحها وثقافتها وتكرس من خلالها

مفهوم الهوية مع البحث عن قنوات للتكامل مع المجتمعات المضيفة، فالطابع المتعدد المكاني للاتصال والتعبئة يؤثر على الإنتماء الثقافي والسياسي لأعضاء الشتات.

وبالرغم من الدور المتواتر لتكنولوجيات الإعلام فالشتات ومع بحثه الدائم عن طرق للاندماج وتغيير النظرة لمجتمع الأقلية الأجنبية؛ إلا أنه وفي نفس السياق يحاول الحفاظ على الروابط السياسية والثقافية عبر الحدود وذلك عبر وسائل الإعلام، فمجموعات الأقليات والشتات تستخدم وسائل الإعلام بطرق معقدة تغذي شعورهم بالانتماء الثقافي والسياسي، فالإنتشار الواسع لوسائل الإعلام والاتصال في مجتمع الأقليات يعمل من أجل تمثيلها ثقافيا وسياسيا، ويعبر عن انتمائهم لوطنهم الأم، من جهة أخرى فالحديث عن تحرير وسائل الإعلام الجديدة للأقليات أصبحت واسعة الانتشار فمن خلال التكنولوجيات يمكن أن تتغير الحياة الثقافية والسياسية لأعضاء الشتات والتي ستكون لها عواقب غير مضمونة على مفهومي الهوية والمواطنة.

وللإلمام بمختلف جوانب الموضوع تم تقسيم الدراسة إلى المحاور التالية:

1. في مفهوم الشتات ومسألة الهوية الثقافية
2. الشتات والهوية في عصر تكنولوجيات الاتصال
3. تحديات الهوية الثقافية لمجتمعات الشتات في ظل التأثير التكنولوجي

1. في مفهوم الشتات ومسألة الهوية الثقافية:

مثل الكثير من المصطلحات يشهد مفهوم الشتات جدلا واسعا بين الباحثين من حيث التأطير وتحديد المعنى والخصائص التي تميزه عن غيره من المفاهيم وقد حاول الباحثون البحث عن العناصر المحددة لفكرة الشتات لإيضاح المفهوم بعيدا عن المفاهيم الأخرى. تشمل السمات الرئيسية للمغتربين التشتت من **"المركز"** إلى **"محيطين"** على الأقل وداخل هذه **"الأطراف"** تستمر ذاكرة جماعية حول وطن متخيل (Tsolidis, 2014, p. 05)، وغالبا فالشتات مفهوم مرن يستخدم لشرح مجموعة مختلفة من الظواهر والأحداث في مجال العلاقات الدولية لما له من علاقة وطيدة مع مفهوم العلاقات العبر وطنية وهذا ما جعله مفهوما قابلا للتجديد.

ومصطلح " الشتات" بالطبع له أصل أقدم بكثير من مصطلح " العبر وطنية" فهو يستعمل للإشارة إلى المستوطنات اليونانية المنتشرة حول البحر الأبيض المتوسط القديم ثم إلى المجتمعات اليهودية المشتتة (Vertovec & Cohen , 1999, p. 249)، وفي أغلب الدراسات يظهر أن مفهوم جماعات الشتات يرتبط ارتباطا وثيقا بالشتات اليهودي. أشار المصطلح في البداية إلى وضع مستعمرات اليهود خارج فلسطين بعد المنفى البابلي، وقد افترض دلالة أكثر عمومية عن الأشخاص الذين استقروا بعيدا عن أوطان أجدادهم (Anteby-Yemini & Berthomière , 2005, p. 262)، وبعد ستينات القرن الماضي بعد ما كان متوقعا أن تندمج المجموعات العرقية المغتربة مع المجموعات المحلية لبلدان المقصد ظهرت الحاجة إلى إعادة صياغة المفهوم من خلال التنظير له، بالإضافة إلى أن مجموعات الشتات لم تعد مرتبطة بالشتات اليهودي فحسب بل بمجموعات أخرى ظهرت في أوروبا تحمل نفس سمات مجموعات الشتات اليهودي.

يجب تعريف الشتات بشكل إيجابي وليس بشكل سلبي؛ فقد يتمتع الأشخاص في الشتات بهوية مشتركة مع أفراد من ذوي الأصول العرقية في بلدان أخرى مثل المستوطنين الإستعماريين والطلاب الأجانب واللاجئين والمهاجرين الإقتصاديين (Tan , 2021, p. https://bit.ly/30okLtL)، ويمكن اقتراح بعض التعاريف

لتحديد مفهوم الشتات حسب ما جاء به الباحثون في هذا المجال، فالشتات كما يصفه أحد المعلقين هو "المجتمعات المثالية في لحظة عبورها للحدود العبر وطنية، فهم المجتمعات التي تسن "**العولمة من الأسفل**" من خلال ممارساتهم الاجتماعية وتفاعلاتهم اليومية (Khachig, 1997, pp. 3-7).

يشبه هذا التعريف تعريف **سفران** من حيث فكرة المثالية فهو يعرف الشتات على النحو التالي: "**طوائف الأقليات المغتربة**" والتي تتوفر فيها المعايير التالية (Anteby-Yemini & Berthomière , 2005, p. 262):

- المشتتة من مركز "**أصلي**" إلى مكانين أو "**محيطيين**" على الأقل.
- التي تحافظ على "**الذاكرة**" بمعنى أن لديهم رؤيا واضحة حول وطنهم الأصلي.
- يعتقدون أنهم ربما لا يمكن قبولهم بالكامل من قبل البلد المضيف.
- أن ترى منزل الأجداد كمكان للعودة في نهاية المطاف عندما يحين الوقت.
- ملتزمون بصيانة أو استعادة هذا الوطن.
- الالتزام بتوعية المجموعة و تأكيد تضامنهم من خلال هذه العلاقات المستمرة مع الوطن.

في تعريف سفران تعتبر هذه المعايير مثالية لتطبيقها على المغتربين ومرجعية الأفراد المثاليين هم الشتات اليهود والذين حسبه تنطبق عليهم المعايير الستة التي ذكرناها سابقا مع أنه لا يمكن للشتات اليهودي أن يستوفي كل المعايير التي وضعها.

في المقابل يجادل **جيمس كليفورد** (1994) بأن مفهوم الشتات يجب ألا يكون مقيدا بمعايير تستند إلى "**الأنواع المثالية**" فبالنسبة له يشير الشتات أكثر إلى النزوح وظاهرة التعلق المحلي المتعدد، فهو يقترح أن الشتات عبارة عن "كوكبة تكيفية فضفاضة متماسكة من الإستجابات " وشكل من أشكال المقاومة بين أوساط أولئك الأفراد المستبعدين من مكان توطينهم (Clifford , 1994, p. 302)، وبالتالي فقد شمل تعريف كليفورد كل المجموعات المهاجرة بغض النظر عن أسباب و ظروف الهجرة فهنا يتحول الشتات من مجرد فكرة مرتبطة بالمغتربين إلى شكل من أشكال السياسة الثقافية المرتبطة بالدولة القومية وربما المعارضة لها.

يستخدم علماء الشتات عددا من المعايير التمييزية في تحديد الشتات. وعلى وجه الخصوص اقترح عالم الاجتماع في الشتات **روبن كوهين** ستة عناصر محددة للمغتربين في زمن العولمة (Bobbio et al, p. https://bit.ly/2JPq9Am:)

- وجود ذكريات جماعية.
- أسطورة الوطن الأصلي والترويج لحركة للعودة إلى الوطن الأم.
- وجود أساس عرقي قوي تم إنشاؤه وإثرائه على المدى المتوسط والطويل.
- وجود علاقات صعبة مع البلد المضيف.
- شعور قوي بالتضامن الداخلي وكذلك مع الجماعات العرقية المشتركة في بلدان أخرى.
- القدرة الإبداعية التي تساهم في التنمية الثقافية والفنية في البلدان المضيفة.

ومع إفرازات العولمة تم إعادة استخدام المفهوم بتفسيرات مختلفة ضمن السياق الأكثر عمومية لعملية العولمة وأصبح الشتات يعني الشتات عبر الوطني أو العالمي دون التركيز على جيب عرقي معين، بالتالي فالشتات يعني حركات الهجرة التي تشمل فئات جديدة من الأفراد سواء المغتربين؛ اللاجئون السياسيون؛ المهاجرون؛

المقيمون الأجانب؛ وأيضا الأفراد الذين ينتقلون لأسباب تتعلق بالدراسة أوالعمل وتطوير علاقات متعددة والتي أصبحت ممكنة بفضل الثورة التكنولوجية، لذا فمفهوم الشتات يتمحور في مجمله حول إنشاء هويات متعددة.

وفي هذا السياق قدم **نيكولاس فان هير** (1998) بعض العناصر عندما اقترح تحديد الشتات حسب ثلاث معايير على الحد الأدنى (Van Hear,1998,p38):

- الوجود الدائم في الخارج رغم أن المنفى ليس دائما بالضرورة ولكنه قد يشمل التنقل بين الوطن والدول المضيفة الجديدة.
- إستمرار الوجود في الخارج لأن الحركات بين أرض المنشأ وبلدان الوطن الجديدة يمكن أن تتطور.
- أن يكون هناك نوع من التبادل الاجتماعي - الاقتصادي أو السياسي أوالثقافي بين السكان المنفصلين مكانيا الذين يعيشون في الشتات.

في المعايير التي حددها **فان هير** فمجتمعات الشتات والتي تعتبر مجتمعات عابرة للحدود فلا يقتصر مفهوم الشتات فقط على المغتربين والمهاجرين المقيمين في دول لمقصد بشكل دائم بل يمكن أن يكون أفراد الشتات في حركية دائمة بين مجتمعاتهم الأصلية والمجتمعات المضيفة، وقد يطرح تعريف فان هير أسئلة عديدة حول موضوع الهوية والإنتماء فحسب معاييره لم تعد أزمة الهوية مصاحبة لفكرة الشتات، لذا فيجب الإنتباه للدلالات المختلفة المتعلقة بالمفهوم والتي قد تأخذ تفسيرات عدة وذلك بسبب اختلاف زوايا النظر لدى الباحثين في المجال.

وفي ظل العولمة قد يحدث الشتات بشكل متزايد بسبب وسائل الإعلام فعملية التواصل تؤدي إلى مغتربين جدد، وهذا ما ينطوي على طرق جديدة لخلق الهوية والمحافظة على الإنتماء وهنا يتوجه الحديث نحو **البعد الثقافي للعولمة**، وتأثيرها على الهوية وهنا يطرح تساؤل حول إشكالية الهوية الثقافية لمجتمعات الشتات في عصر العولمة وعلى قدرة الأشكال الجديدة للهجرة -والتي تتطور وفي سعي مستمر للإندماج في فضاء تحكمه شبكات معقدة من المعطيات التي فرضتها بشكل أكبر شبكات وسائل الإعلام والاتصال- على الحفاظ على هوية الأفراد الثقافية.

ويرى **تاجفل** أن الهوية هي التي تعكس ذلك الجزء من مفهوم الشخص عن ذاته والذي يتأسس في ضوء معرفته المسبقة بانتمائه لعضوية جماعة (أو جماعات) معينة، وهو ما يقتضي تمسكه بالقيم والأعراف السائدة في إطارها (لونيس، 2015، ص.ص. 31-44). أما بالنسبة للهوية الثقافية فهي معرفة وإدراك الذات القومية ومكوناتها من قيم وأخلاق وعادات وتقاليد ودين، وهي السمات والخصائص التي يتميز بها شعب ما عن غيره من الشعوب وترتبط هذه السمات بالسلوكيات العامة لمجموع الأفراد والعلاقات السائدة والمنتج الفني والثقافي والتي تميز في مجموعها هذه الجماعة أو هذا المجتمع (حجاب 2003، ص. 26).

توفر الهوية الثقافية الأهمية العالمية للمعرفة المحلية والإحساس بالذات والمجتمع والأمة ويشير دينغ(2005) إلى أن الهوية الثقافية تجيب على أسئلة **"من أنا؟" "إلى أين نحن ذاهبون؟" وماذا لدينا ؟"** وغالبا يبني الناس هوياتهم من خلال ثقافاتهم (Wang, 2007, pp. 83-86) ، وبالتالي فالهوية الثقافية هي الإطار العام لأي مجتمع يتكون من مجموعة من الثوابت والقيم التي تعتبر قواعد أساسية لبنائه، وعلى رأس هذه الثوابت نجد الهوية والتي تعتبر محور كل القيم التي تتفاعل فيما بينها بالإضافة إلى مجموع العوامل الفكرية والاجتماعية التي

تتحكم في سلوكات الأفراد، وهذا المفهوم قد تحول لأزمة في مجتمعات الشتات التي اصطدمت بثقافات مغايرة وقد تكون متناقضة مع الثقافة الأصلية للأفراد.

ويؤثر ذلك بشكل كبير على هوية المهاجر حيث يصبح تحت ضرورة إعادة بناء هويته وثقافته عبر إنشاء روابط جديدة داخل البلد المستقبل، لكن بما أن هذا الأخير قليلا ما يعترف بالمهاجرين كأعضاء مرغوب فيهم داخل المجتمع فإن هوية وثقافة المهاجر غالبا ما تصبح هشة ومنقسمة بين اختيار التشبث بالإنتماء للبلد الأصل واختيار بناء انتماء جديد مع البلد المستقبل، والواقع أن كلا الخيارين صعب التحقيق وهو ما أشار إليه عبد المالك الصياد من خلال مفهومه "**الغياب المزدوج**" حيث يحيل أن المهاجر غائب بشكل ملموس في بلده الأصلي وغائب بشكل مجرد في البلد المستقبل. (خيدون 2021، ص.ص. 67-75)

2. الشتات والهوية في عصر تكنولوجيات الاتصال:

إن الرهانات الجديدة لمجتمعات الشتات تتمثل عموما في كيفية تنمية بلد المنشأ أو الوطن الأم والحفاظ على الهوية الثقافية لأفراده وحمايتها من الإنصهار التام داخل هويات وثقافات البلد المستقبل، خاصة أن ما تقتضيه العولمة هو إعادة اختراع العلاقات مع الوطن وهذا ما ساهم في رسم مسارات جديدة للحفاظ على الروابط الشخصية والمجتمعية والحفاظ على الهوية الثقافية بالإضافة إلى التواصل مع شؤون البلدان الأصلية بصورة غير متصورة في السابق، وما ساعد على ذلك هو شبكات الاتصال العالمية والتقنيات المعاصرة التي صنعت ما يمكن تسميته شبكات المعرفة وشبكات الشتات المعرفي.

فقد ساعدت التقنيات الجديدة على الإندماج مع المجتمعات المحلية وفي نفس الوقت الحفاظ على الهوية الثقافية وعلاقات الترابط بين أفراد مجتمع الشتات، وذلك لبناء نظام اجتماعي مستقر وتعددي خاصة أن العديد من الدول لم تستطع استيعاب فكرة إدماج الأقليات العرقية. فلم تعد الهوية الذاتية تعتمد على الإندماج في مجتمع محلي مختلف من حيث الممارسات ...، ففي عالم التنقل يكون المهاجرون في سياق سياسي واجتماعي واقتصادي وثقافي مختلف لأولئك الذين يتواصلون معهم في بلدان أخرى من شبكة الشتات. (Jean-Baptiste, 2015, p. 214)

قد تعرض فكرة الشتات سلوكين متناقضين يؤثران على الهوية الثقافية؛ البقاء بعيدا عن دول المنشأ (بغض النظر عن الأسباب والدوافع) والبقاء على اتصال دائم مع أوطانهم، فبداية قامت وسائل الإعلام الإثنية في مختلف البلدان بإطلاع مجتمعات المهاجرين على الأخبار المحلية وعبر الوطنية التي يجدون أنها تهمهم بشكل خاص، أيضا فهذه الأجهزة تعمل على استكمال وسائل الإعلام التي تميل إلى استبعاد أشكال التعبير الثقافي للمجموعات الأصغر في المجتمع.

ينظر إلى وسائل الإعلام الإثنية على أنها تخدم غرضين أساسيين: أنها تساهم في الحفاظ على الثقافة الإثنية وتساعد أفراد الأقليات على الإندماج في المجتمع الأكبر (H, 2018, pp. 01-23)، وقد ساعد الإنتشار الهائل لتكنولوجيات الإعلام والاتصال في الحد من التحديات التي تواجه الهوية الثقافية لأفراد مجتمع الشتات أثناء محاولة إعادة تأسيس حياتهم والتكيف مع البيئة الثقافية الجديدة بسبب مفهوم "التثاقف" والذي هو عملية معقدة تتأثر بعدد من العوامل المتجذرة عبر التاريخ، وقد اتخذ الباحثون في مجال الاتصالات خطوات إضافية

لتطوير أفكار حول تعدد الجماعات العرقية، والجدير بالذكر أن هناك نظريتين للتواصل بين الثقافات ظهرت لشرح العمليات التي تحدث عندما يتداخل أعضاء الجماعات العرقية المختلفة عبر الحدود الوطنية والثقافية.

الأولى هي نظرية **يونغ يون كيم** المتكاملة للتواصل والتكيف بين الثقافات؛ من خلال التركيز على تثقيف الأفراد بدلا من المجموعات بأكملها (Khanh, 2013, p. 18)، وعرف كيم التكيف بين الثقافات بأنه "العملية الديناميكية التي بواسطتها يقوم الأفراد عند الإنتقال إلى بيئات ثقافية جديدة أو غير مألوفة أو متغيرة (بإنشاء أوإعادة تأسيس) والحفاظ على علاقات مستقرة ومتبادلة وفعالة نسبيا مع تلك البيئات (Yun Kim, 2001, p. 18) ، بالنسبة لكيم فالتكيف مع الثقافات ضرورة حتمية لأفراد الشتات الذين ينتقلون عبر الثقافات لأن التكيف هو جوهر عملية التواصل اللازمة في جميع الأنشطة البشرية، إلا أن الإشكال يكمن في تقبل البيئة المحلية للشتات بالإندماج مع ثقافتهم.

النظرية الثانية هي **لإريك كرامر** عن الإندماج الثقافي والتي تتناقض مع نظرية كيم للتكيف بين الثقافات فقد انتقد كرامر فرضية كيم التي مفادها أن الأفراد يجب أن يتكيفوا حتما مع النظم الثقافية القائمة، فقد جادل بأن هذه النظرية تتجاهل احتمال أن المهاجرين قد يغيرون الثقافة الجديدة، فحسبه ليس من الضروري أن ينسى الشخص تماما شيئا قديما من أجل الحصول على شيء جديد بدلا من ذلك إدعى كارمر أن النمو "مضاف ومتكامل" وأن القدرة على التكيف متعددة المسارات ومتعددة الأبعاد، وعرض كرامر نظرية "**الإنصهار الثقافي**" كمفهوم بديل للثقافة، فالإنصهار الثقافي هو عملية الجمع بين عناصر من ثقافتين أو أكثر لخلق أشكال ثقافية هجينة جديدة فهو نهج يقدر ويقبل الإختلافات داخل كل ثقافة وبالتالي يحافظ عليها من خلال دمجها لتوليد شيء جديد. (Mark Kramer, 2003, p. 39)

قد يكون الإنصهار الثقافي إيجابيا فعلا للحد من الخلافات الناتجة عن اختلاف الثقافات إلا أنه قد يؤثر على انتماء أفراد الشتات لمجتمعاتهم الأصلية وبالتالي طمس الهوية والثقافة وانصهارهما في ثقافة البلد المضيف، وقد تحقق هذه النظرية مفهوم التكامل والإندماج إلا أنها تغير مسار أفراد الشتات في الحفاظ على ثقافتهم الأصلية فيفترض أن تقدم تكنولوجيات الاتصال بعدا جديدا لمفهوم الشتات حيث يمكن الحفاظ على الهوية الثقافية الأصلية للأفراد وليس فقط صهرها في البيئة المحلية الجديدة.

إن التركيز على مجموعات الشتات الحديث وعلى إشكالية الهوية الثقافية يفترض التعامل مع وسائل الإعلام كمساحات تتواصل فيها الأقليات مع مصالحها بالإضافة إلى الحفاظ على الهوية. فالطابع المتعدد مكانيا للإتصال والتعبئة وتأثيره على التعبير عن الإنتماء الثقافي والسياسي والتواصل معه يساعد مجموعات الشتات في الحفاظ على الروابط السياسية والثقافية عبر الحدود عبر وسائل الإعلام إلى حد كبير (Georgiou, 2013, pp. 80-99)، لذا تحاول مجموعات الشتات استخدام وسائل الإعلام بطرق مختلفة تغذي شعورهم بالإنتماء الثقافي والسياسي وهنا يمكن أن يظهر مفهوم أخر مصاحب لتأثير تكنولوجيات الاتصال على مفهوم الشتات وهو مفهوم الفضاء الإفتراضي.

في الواقع مفهوم الفضاء هو مفتاح دراسة الشتات ويعتبره دورين ماسي ذلك "التعايش المتزامن للعلاقات الاجتماعية على جميع النطاقات الجغرافية، من العلاقة الحميمة للأسرة إلى المساحات الواسعة من الاتصالات عبر العالمية"، وقد أثرت المناقشات التي دارت حول قضايا العولمة والهوية الثقافية واستخدام تكنولوجيات الاتصال الجديدة بشكل كبير على دراسة الجغرافيا البشرية، ويشير أنتوني جيدنز (1990) إلى أن

وسائل الإعلام الجديدة نجحت في "إفراغ" الزمان والمكان مما سمح "بتفكيك" العلاقات الاجتماعية من مواقعها وتنفيذها على مسافات طويلة. و يميز **مانويل كاستيلز** (1989) "مساحة الأماكن" عن "مساحة التدفقات" الجديدة التي تحدث في الشبكات العالمية. (Karim, 2002, p. https://bit.ly/2JS0lDt)

عندما ننظر إلى التواصل والأقليات في سياق الحياة اليومية فهذا يعني مواجهة كل من التحديات الطويلة الأمد والجديدة من حيث تمثيل وسائل الإعلام للأقليات - ليس فقط في وسائل الإعلام ولكن أيضا خلف وسائل الإعلام في أوقات تقارب وسائل الإعلام. إلا أنه في الواقع تجد أقليات الشتات نفسها في بيئات وسائط معقدة تتشكل عند تقارب الوسائط القديمة والجديدة التي تتعايش وتلعب أدوارا مختلفة في حياتها، فلا شك في أن وسائل الإعلام وتقنيات الاتصال أصبحت أكثر تنوعا مع أنواع مختلفة من منصات الوسائط وأن المحتوى المختلف جدا متاح للمشاركة على هذه المنصات.

ونظرا لكون وسائل الإعلام هي البوابة الأولى التي يمر من خلالها اللاجئون والمغتربون فهي إما أن تفضي إلى اندماج وتثاقف أو إلى عزلة اجتماعية؛ فينقسم مستخدموا وسائل الإعلام من تلك الأقليات إلى اتجاهين أساسين؛ الأول يتجه إلى استخدام وسائل الإعلام من البيئة الأصلية والتي تتحدث باللغة الأم والإتجاه الثاني يميل إلى استخدام وسائل إعلام البيئة المضيفة. (الكيلاني 2013، ص. 03)

حولت تكنولوجيات الإعلام والاتصال مفهوم الشتات إلى شتات حديث؛ فواجهة تكنولوجيا الإعلام حولته أيضا إلى شتات رقمي افتراضي، قد يتم تعريف الشتات الرقمي كمجتمع افتراضي لأن العديد من الأفراد الذين لديهم نفس الخلفية العرقية أو الأصل القومي ينتمون إلى عدد كبير من مواقع الأرض المضيفة يجمعون أنشطتهم عبر الإنترنت في إنشاء موقع أو أكثر من المواقع الافتراضية التفاعلية. ومع ذلك بقدر ما يشارك هؤلاء الأفراد في الحياة اليومية لجيب الشتات، فإن أنشطتهم على الانترنت تساهم بالضرورة وتؤثر في شكل مجتمع إقامتهم. (andoni & Oiarzabal , 2010, p. https://bitly.is/3wY784n)

وفي تجسيد لتأثير تكنولوجيات الإعلام والاتصال على المجموعات العرقية أو مجموعات الشتات يمكن أن نلمس الآثار الايجابية من خلال طريقة استخدام التكنولوجيات الجديدة من خلا إعتبارها ثورة مسؤولة عن تحسين ظروف الإقامة وتلبية احتياجاتهم سواء بالنسبة للمجموعات العرقية الموجودة على نطاق جغرافي واحد أو المجموعات الغير متصلة جغرافيا، هذا بالنسبة لعلاقة أفراد الشتات ببعضهم البعض في البلدان المضيفة أو علاقتهم ببلدانهم الأصلية، أيضا بالإضافة إلى مفهوم التثاقف كما ذكرنا سابقا فتكنولوجيات الإعلام تعمل كوسائط لتبادل الثقافات السياسية والاقتصادية وربما ما يساعد على الأمر أن بعض مجموعات الشتات تعتبر قوى اقتصادية في الدول المضيفة.

3. تحديات الهوية الثقافية لمجتمعات الشتات في ظل التأثير التكنولوجي:

إن نظرة دول المقصد للمغتربين أو مجتمعات الشتات لا يتعلق فقط بتواجدهم العددي بل بممارساتهم الثقافية ومحاول تطويرهم لمشاريع تضمن خصوصيتهم الثقافية وحرية التعبير في تحد واضح لإيديولوجيات التجانس الثقافي وتصورات الاختلافات والفروقات العرقية والثقافية، فتأثير وسائل الإعلام في الشتات يتجاوز الآن سياقات الشتات وتجتذب الإنتباه عبر جماهير أوسع من السياسيين وصانعي القرار، فوسائل الإعلام التي تركز على الأقليات والوسائل التي يستخدمونها قد تثير بعض المخاوف لدى البيئة المضيفة، فحسب

بعض الإتجاهات فوجود وسائل إعلام خاصة بمجتمعات الشتات قد تؤثر في استقرار التسلسل الهرمي للسيطرة على الموارد الثقافية.

يتيح لنا الشتات دراسة بعض الطرق التي يتصل بها مستخدموا الوسائط بالمجالات العامة المختلفة (Siapera, 2010, p. 136) والمجتمعات مع الحفاظ على مسارات خاصة ومتنوعة ومتعددة داخل الحدود وعبرها؛ فالشتات هو مفهوم يجسد التنقل البشري و (إعادة) التسوية ليس كنقاط معاكسة ولا كسبب وتأثير وإنما كعناصر موجودة في عالم متصل عبر التدفقات والشبكات. (Gilroy, 2014, https://bit.ly/3A2T7o2)

أصبحت تأثيرات التعقيد المتزايد للبيئة الإعلامية المعاصرة كثيرة على حرية التعبير والتواصل المتنوع، فهيمنة الدول والشركات على الوسائط الرقمية والمبالغة في التأكيد على التأثير المتحرر لها خلقت تناقضا مستمرا بين جانبي العالم الرقمي، وفي هذا السياق فالتركيز على طريقة استخدام الشتات لهذه الوسائط سيكون أكثر جدوى من البحث في نوعية الوسائط المستخدمة، بالإضافة إلى أننا نشهد قصورا من قبل الإعلام في التعاطي مع هذه الأقليات مما يجعلها مجموعات مغلقة رغم محاولة أفرادها التحرر من خلال استخدام وسائط بعيدة نوعا ما عن الهيمنة الكلية للدول، أيضا المساحات الخاصة بالاتصال والانتماء غير مستقرة نوعا باعتبار أنها تتكون من مختلف الإيديولوجيات التي يمكن أن تشكل بعض التوترات، يفترض أن تقلص وسائل الإعلام من حدة هذه التوترات إلا أن الملاحظ انه وفي بعض الأحيان يكون تأثيره الإعلام سلبيا بالنسبة لهذه الفكرة.

تميل الأقليات إلى التجمع في المدن الكبرى فبالنسبة للكثير منهم فإن حياتهم في المدينة تحدد جزئيا الطرق التي ترتبط بها بالمجتمعات المختلفة محليا ووطنيا وعبر الوطني، المدن المتنوعة بشكل متزايد والعمل الاجتماعي المعقد بين المهاجرين والمغتربين وغيرهم من الفئات المهمشة في التكوينات الوطنية والمشاركة الاقتصادية عبر الوطنية والمشاركة الاقتصادية توضح أهمية نقاط الاتصال الجسدية - وفي أكثر الأحيان - الحضرية - في فهم الهوية و معانيها وقيودها (Georgiou, 2013)، لذا فقد يكون تأثير تكنولوجيات الإعلام محدودا وغير كاف لإدماج الشتات مع البيئة المحلية.

وسائل الإعلام عبر الحدود (عبر الإنترنت) تخلق مساحات للأقليات لتشكيل الرسالة والشعور بالذات وللمجتمع وبالتالي تعزيز الشعور بالأمان والاندماج، إلا أنه قد تنحرف الرسالة جزئيا عن مساراها بسبب الإختلافات التي أصبحت تشكل فجوة بين أفراد الشتات والأفراد في موطنهم الأصلي، ويمكن أن تقوم وسائل الإعلام الرئيسية بزيادة الإستبعاد وهذا ما يزيد من حدة تهميش الأقليات وشعورهم "بالآخرين" واستبعادهم من المجتمعات المضيفة .

من المهم إدراك استمرارية الهياكل والمحتوى بين الوسائط القديمة والجديدة ومن المهم أيضا التعرف على العناصر النوعية الجديدة لبيئة الوسائط المعاصرة. ليس أقلها عندما تتلاقى منصات وسائل الإعلام الجماهيرية والاجتماعية والشخصية، بالإضافة إلى ذلك ونتيجة لتقارب مساحات الوسائط فإن الفجوة بين المنتجين والمستخدمين غير واضحة، مما يؤدي إلى ما يسميه البعض "إنتاج" محتوى الوسائط ويدعو برونز للمشاركة والتقييم المجتمعي للمحتوى والإنتاج المشترك واستهلاك المحتوى؛ وإلى جانب التغيرات النوعية من حيث إنتاج واستهلاك الوسائط تتغير هياكل الصناعات الإعلامية أيضا. (Bruns , 2008, p. 81)

ساهمت تكنولوجيات الاتصال في ظهور نوع جديد من الشتات وهو الشتات الإلكتروني، فقد ظهر الشتات الإلكتروني جنبا إلى جنب مع انتشار الإنترنت وتطوير خدمات عامة متعددة عبر الإنترنت ففي نهاية التسعينات انضم عدد من المؤسسات إلى التقنيات الإلكترونية الجديدة (الإدارة الإلكترونية، الديمقراطية الإلكترونية، التعليم الإلكتروني، الرعاية الصحية الإلكترونية، الثقافة الإلكترونية، السياحة الإلكترونية)، مما أدى إلى ظهور الوجود الأول على شبكة الإنترنت من الجمعيات التي يديرها السكان المهاجرين (Diminescu, https://bit.ly/2HH9hJ1)، هذا المفهوم من جانبه السلبي قد يخلق أزمة شتات من نوع أخر أفراده افتراضيون منفصلون أكثر عن العالم الواقعي رغم ارتباطهما الوثيق، الشتات الرقمي يمكن أن يزيد من عزلة أفراده وبالتالي صعوبة الإندماج مع البيئة والثقافة المحلية وبالمقابل زعزة الهوية الثقافية للأفراد بسبب وجود ثقافات مجهولة المصدر تؤثر على قيم افراد مجتمعات الشتات.

وبهذا المعنى وبسبب ظهور شتات افتراضي يقابله بالموازاة هوية ثقافية افتراضية حيث يمكن أن تخرج الهوية عن المفهوم التقليدي لها ليتجه التركيز نحو ما يسمى الهوية العالمية العابرة للحدود. فالهوية العالمية تعرض انفتاحها على مختلف الثقافات العالمية، في هذا الصدد هناك انتقال نوعي من هوية مغلقة إلى هوية متحولة، ثم هوية هجينة...، فالروابط الاجتماعية التي جرى تعزيزها عبر الشبكة لا تخفي حقيقة التغيرات التي تعرفها الممارسات الهوياتية بفعل سهولة التواصل والتفاعل عبر الفضاء الافتراضي والتي تترجم مظاهر «الاستبطان الهوياتي» في فضاء ثقافي كوني يساهم بطريقة أو بأخرى في إعادة هيكلة الذات الجماعية.(بيبيمون، (http://bit.ly/39ReSJK

وفي هذا السياق حتى مع تأثيرات تكنولوجيات الإعلام والاتصال الايجابية على أفراد مجتمعات الشتات من خلال ربطهم بهوياتهم الاصلية وثقافة أوطانهم الأم إلا أنها خلقت فجوة هوياتيه للأفراد جعل من الصعب التمسك بالانتماء من جهة والانصهار في الثقافات المحلية للدول المستقبلة من جهة أخرى، فوسائل الاتصال بطرقة أو بأخرى خلقت نوعا جديدا من الهويات الثقافية غير مرتبط فعليا بثقافة الوطن الأم وفي نفس الوقت تحاول الاقتراب من ثقافات الدول المستقطبة لتتمكن من التثاقف والذوبان في هويات الدول المستقبلة.

الخاتمة:

تعتمد الهوية الثقافية لأفراد مجتمعات الشتات في عصر تكنولوجيات الاتصال على توفير رؤى جديدة لمجموعة واسعة من السكان المشتتين وتفاعلاتهم مع هذه التكنولوجيا، فالواقع المعقد لأفراد مجتمعات الشتات كظاهرة جعل من هذا التفاعل غير متكامل إلى حد ما. تشترك هذه المجموعات في اهتمامات ورغبات متشابهة والتي لا يتم ملاحظتها إلى من جانب المجتمعات المضيفة وبلدانها الأصلية لذا فاستخدام تقنيات الاتصالات يفترض أنه يفعل قدرة مجتمعات الشتات على التواصل مع أوطانهم مع تعزيز شعورهم بالهوية الجماعية، علاوة على ذلك فإن الشتات في عصر الإعلام الجديد يقودنا إلى مناقشة قضايا ومفاهيم جديدة ترتبط بالمفهومين معا (الشتات والإعلام)، فتأثير التكنولوجيا على الهجرة الدولية ومجتمعات الشتات أمر لا جدال فيه لأنه يسهل تدفق الأشخاص بين المناطق والبلدان والقارات بالإضافة إلى تكوين مجتمعات الشتات ونموها وصيانتها وإعادة إنشاء الشبكات الاجتماعية والثقافية عبر الوطنية.

ومما لا شك فيه أن هناك اختلافات كبيرة حول مسألة الهوية في مجتمعات الشتات قبل ومنذ إنشاء شبكات ووسائل الاتصال الرقمية باعتبار أن المعلومات تلعب دورا مهما دمج الثقافات المختلفة من جهة والحفاظ

على الهوية الثقافية والروابط مع بلدان المنشأ من جهة أخرى،ومع ذلك فتأثير هذه التكنولوجيات على الهوية الثقافية لمجتمعات الشتات ليس مثاليا كما يروج له وكما يتناوله الباحثون، فقد تؤدي هذه التكنولوجيات إلى زيادة درجة عزلة أفراد الشتات من خلال استبعادهم وعدم قبلوهم من طرف البيئة المضيفة من جهة وتمسكهم بالعلاقات التي تربطهم وأفراد المجتمعات الأخرى من المغتربين من جهة أخرى، فالتغييرات التي أدخلتها التكنولوجيا في الشتات فيها من العملية ما لا يمكن إنكاره، إلا أن الإشكالية لا تكمن في تأثيرات التكنولوجيا بقدر ما هي في استعداد الأفراد لتجاوز مفهوم الشتات واندماج الأقليات مع السكان الأصليين واحترام اختلاف الثقافات والتعامل مع الشتات كجزء من النسيج الاجتماعي المؤثر والمتأثر وليس كتهديد للدول المضيفة.

قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية:

الكتب

1. حجاب، م م (2003). الموسوعة الإعلامية. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.

المقالات

1. لونيس، ب.(2015). الهوية المحلية والهوية الافتراضية في ظل الاعلام الجديد-حدود التلاقي والتلاغي-. دراسات وأبحاث. العدد 19.
2. خيدون،م.(2021). الهجرة وإشكاليات الهوية في العالم المعاصر. مجلة جيل للعلوم الإنسانية والاجتماعية. العدد 63.

الرسائل الجامعية:

1. الكيلاني، ج م ،(2013). تأثير وسائل الاتصال الجماهيرية على التثاقف لدى اللاجئين العراقيين في ولاية اوهايو الامريكية. رسالة ماجيستير في الاعلام. جامعة الشرق الأوسط ، الأردن.

المواقع الالكترونية:

1. بيبيمون،ب. السياقات الثقافية الموجّهة للهوية الرقمية في ضوء تحديات المجتمع الشبكي من التداول الإفتراضي إلى الممارسة الواقعية. مقال منشور على الموقع: « http://bit.ly/39ReSJK »، تم تصفح الموقع يوم:13-03-2020.

المراجع باللغة الاجنبية:

Books

1. Anteby-Yemini, L and Berthomière ,W.(2005) . Diaspora: A Look Back on a Concept, Bulletin du Centre de recherche français à Jérusalem , edition16.
2. Bruns, A. (2008). Second Life and Beyond: From Production to Produsage, Blogs, Wikipedia. New York: Peter Lang.
3. Clifford, J. (1994). Diasporas Cultural Anthropology. American Anthropological Association edition 09.
4. Kramer, E. M. (2003). The merging monoculture: Assimilation and the “model minority”. Westport, CT: Praeger.
5. Eugenia, S. (2013). Cultural Diversity and Global Media: The Mediation of Difference. Malden, MA: Wiley-Blackwell.
6. Meyer, J. B. (2021).Diaspora: Towards the New Frontier, IRD: Universidad de la Republica, Marseille.

7. Tsolidis, G. (2014). Migration, Diaspora and Identity: Cross-National Experiences. International Perspectives on Migration, edition 06.
8. Van Hear, N. (1998). New Diasporas: The Mass Exodus, Dispersal and Regrouping of Migrant Communities, London: UCL Press.
9. Vertovec, S and Cohen, R. (1999). Migration, Diasporas, and Transnationalism. UK: Edward Elgar Publishing. Edition 09.
10. Young Yun, K. (2001). Becoming intercultural: An integrative theory of communication and cross-cultural adaptation. Sage Publications.

Articles

1. Karim H, K. (2018). MIGRATION, DIASPORA AND COMMUNICATION, Diaspora and Media in Europe: Migration, Identity, and Integration. Switzerland: Springer Nature.
2. Georgiou, M. (2013). Diaspora in the Digital Era: Minorities and Media Representation. London: Journal on Ethno politics and Minority Issues in Europe, volume 12.
3. Tololyan, K. (1991).The nation-state and its others: in lieu of a preface Diaspora, University of Toronto Press: A Journal of Transnational Studies, volume 1, number 1.
4. Yi Wang. (2007). Globalization Enhances Cultural Identity. Intercultural Communication Studies. Number 1.

Theses

1. Tran, K. (2013). The Role of Information and Communication Technology in the Acculturation of Vietnamese Refugees. Master's Theses Presented to The Faculty of the College of Arts and Sciences, University of San Francisco.

Websites

1. Andoni, A. (2010).and Oiarzabal pedro j, Diasporas in the New Media Age: Identity, Politics, and Community. University of Nevada Press. The article is available on: https://bitly.is/3wY784n. The site was viewed on 02 may2021.
2. Bobbio et al. The diaspora". The article is available on: 2021, https://bit.ly/2JPq9Am.the site was viewed on 25 August 2021
3. Diminescu, D. E-Diasporas: The concept. article is available on: https://bit.ly/2HH9hJ1.the site was viewed on 02 Septembre2021.
4. Karim H, k. (2002). Diasporas and Their Communication Networks: Exploring the Broader Context of Transnational Narrowcasting (DRAFT). The article is available on: https://bit.ly/2JS0lDt, the site was viewed on 17may2021.
5. Gilroy, P. (2014). The Black Atlantic: Modernity and Double-Cosciousness. The article is available on: https://bit.ly/3A2T7o2, the site was viewed on 29 August 2021.
6. Tan,N. (2018). The Definition of Diaspora. The article is available on: https://bit.ly/30okLtL,the site was viewed on 16 August 2021.